رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 6- سورة الحجرات | الأية 31

عبدالرحمن العجلان

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم قدير هذه الاية الكريمة من سورة الحجرات جاءت بعد قوله جل وعلا يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم - 00:00:00

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قال المفسرون - 00:00:40

اذا جاء الخطاب يا ايها الذين امنوا فهو في الغالب الايات المدنية والخطاب بيا ايها الناس فهو في الغالب في الايات المكية التي نزلت بمكة وقد تأتي يا ايها الناس - 00:01:10

الايات المدنية كما في سورة البقرة يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وكما في هذه الاية يا ايها الناس - 00:01:40

خلقناكم من ذكر وانثى وهذه الاية مدنية مع انها مصدرة يا ايها الناس وفي سبب نزول هذه الاية اقوال للمفسرين رحمهم الله تروى عن السلف رحمة الله عليهم القول الاول انها نزلت - 00:02:03

في ثابت ابن قيس ابن شماس رضي الله عنه حينما عير رجلا بامه كان ثابت رضي الله عنه اذا جاء يحب ان يجلس قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم لثقل في سمعه - 00:02:36

فجاء مرة واراد ان يصل فقال من في طريقه افسح قال لقد اصبت مجلسا. يعني اجلس في مكانك فجلس وهو غضبان عليه حيث لم يفسح له ثم قال له من انت؟ قال انا فلان ابن فلان نسب نفسه - 00:03:06

قال انت ابن فلانة ذكر اما له كان يعير بها في الجاهلية تنكس الرجل رأسه وتأثر فانزل الله جل وعلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل - 00:03:34

لا لتفاخروا وهذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما القول الثاني انه لما فتح الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مكة شرفها الله يوم الفتح امر رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:03:57

بلالا رظي الله عنه فصعد على ظهر الكعبة فاذن وكان بلال اسود حبشي واراد صلى الله عليه وسلم ان يقرر قولا وفعلا انه لا فضل لعربي على اعجمي ولا لاحمر على اسود ولا لعجمي على عربي الا - 00:04:32

التقوى فصعد بلال على ظهر الكعبة وكان في السابق في الجاهلية العبد ما يقرب حول الكعبة او يدخلها فلما اذن تأثر لهذا اناس من مسلمة الفتح كيف بلال يصعد على سطح الكعبة ويؤذن - 00:05:06

فقال عتاب ابن اسيد الحمد لله الذي خبر اسيدا قبل اليوم لم يدخل الايمان في قلبه ذاك الوقت فيحمد الله ان الله قبض اباه في زمن الجاهلية لم يرى بلالا يؤذن على ظهر الكعبة - 00:05:34

وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو وكان اعقلهم يكره الله شيئا يغيره قل هذا شيء بارادة الله فاذا كان الله يكره هذا الشيء فلا بد ان يغيره يزيله - 00:06:05

لا تقولوا شيئا وقال ابو سفيان اما انا فلا اقول شيئا فاني ان قلت شيئا لا تشهدن علي السماء ولا تخبرن عني الارض فنزلت هذه الاية

الكريمة لا فضل لكم ولا فخر لكم على بلال. بلال من السابقين الى الاسلام - 00:06:31
بلال شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة يسمع خشخشة نعليه في الجنة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض من يفتخر به كفار قريش حطب من حطب جهنم - 00:07:01
شتان بين هذا وهذا فانزل الله جل وعلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى واتى جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بما قال هؤلاء - 00:07:21
النفر هؤلاء الاربعة ما عندهم احد وانما سمعهم الله جل وعلا فاخبر بهم النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوا القول الثالث بسبب نزولها ان عبدا اسود مرض فعاده الرسول صلى الله عليه وسلم - 00:07:42
ثم قبض مات وتولى غسله وتكفينه ودفنه. الرسول عليه الصلاة والسلام وفي الجاهلية العبد لا قيمة له عندهم من شق المتاع كيف يتولاه الرسول وكيف يباشر يزوره اولا يعود وهو مريض - 00:08:14
تأثر ذلك عند الصحابة من في نفسه شيء من نعرة الجاهلية فنزلت هذه الاية الكريمة قد يكون هذا العبد الاسود افضل من الاف الرجال الذين يفتخر بهم الناس يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اصلكم من اين - 00:08:42
من ادم وحواء العربي والعجمي والابيظ والاسود والاصفر والاحمر كلهم اخوان من ادم وحواء اصلهم واحد ما هذا اصله من ذهب وهذا من نحاس او هذا من طين وهذا من ذهب - 00:09:10
كلهم من اصل واحد انما يتفاضلون بشيء واحد في القلب ما يقر في القلب يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح لا بالمال ولا بالجاه ولا باي منصب او شأن من شؤون الدنيا - 00:09:36
رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب يعني ما يسمح له بالدخول اذا جاء ليدخل دفع لا قيمة له عند الناس لو اقسم على الله لابره يعطيه الله جل وعلا ما يقسم عليه - 00:10:04
لان الله يحبه وحينما مر رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده بعض الصحابة مر الرجل الاول وقال ما تقول في هذا؟ قال هذا من اشراف القوم حري ان خطب ان ينكح - 00:10:25
وان قال ان يسمع وان شفع ان يشفع هذا لا يرد له طلب هذا له جاه وله منزلة عند الناس فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فمن رأى اخر من فقراء المسلمين - 00:10:49
الهيئة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه ما تقول في هذا قال هذا من فقراء الناس هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع - 00:11:05
وان قال الا يسمع لا ينتبه له فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض من مثل ذاك لان هذا تقي رجل صالح وذاك بخلاف هذا انا خلقناكم من ذكر وانثى هم ادم - 00:11:20
وحواء ذكر وانثى كلكم ما فيه من بني ادم من يوجد في الارض الا من من صلب ادم من اولاد ادم وحواء فلما يفتخر الاخ على اخيه اصلهم واحد وانما يتميزون بما وهبهم الله جل وعلا من الصفات التي يتميز بها - 00:11:44
الشخص عن الاخرين وفي هذا زجر ونهي من الله جل وعلا للامة الا يتفاخروا ولا يفخر بعضهم على بعض باصله لانه ربما افتخر باب هو حطب من حطب جهنم كيف يفتخر به - 00:12:09
وجعلناكم شعوبا وقبائل لماذا؟ لتتفاخروا يفخر بعضكم على بعض ليتكبر بعضكم على بعض لا لتعارفوا يعرف الانسان اقاربه يعرف اسرته يعرف من ينتسب اليه يصل رحمه ويعطف على قرابته للتعارف فقط لا للتفاخر - 00:12:37
الشعوب جمع شعب بفتح الشين والقبائل جمع قبيلة والشعب هو الحي او المجموعة من الناس الكبيرة المتسعة والقبائل التي دون منها لان الشعب يتكون من مجموعة قبائل والقبائل تتكون من مجموعات اخرى تتسلسل عنها - 00:13:20
قال الشعوب مضر وربيعة شعب وربيعة شعب شعوب والقبائل دونها كبكر من ربيعة بكر قبيلة من قبائل ربيعة وتميم بكر من قبائل قبيلة من قبائل مضر وهكذا يعني الشعوب هي - 00:14:04

العامة ثم يتفرع من هذه الشعوب قبائل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الشعوب الموالي والقبائل العرب وقال ابو رزيم الشعوب اهل الجبال الذين لا لا يعتزون الى احد - 00:14:43

يعني ما ينسب الى قبيلة من القبائل المشهورة المعروفة وانما هو مجموعات من الناس والقبائل هي قبائل العرب وقيل ان القبائل هي الاصول والشعوب هي البطون التي تتشعب منها اي هذا القول الاخير ظد - 00:15:17

القول الاول لكن المشهور هو القول الاول. القبائل ان الشعوب هي الاكبر ويتشعب منها يتفرع منها قبائل وقيل قال بعض العلماء العكس القبائل هي القبائل الكبار ويتشعب منها شعوب وجعلناكم شعوبا وقبائل. لماذا - 00:15:48

لتتعارفوا لتعارفوا لاجل التعارف فقط الانسان يعرف اصله يعرف قبيلته ليصل بني عمه ولينتسب اليهم عند الحاجة لا ليفخر بهم لتتعارفوا ثم بين جل وعلا ما يتفاضل به الناس وما هو - 00:16:17

حق بالتفاضل به لا يقال ان السواسية مسلمهم وكافرهم وفاجرهم لا بل قال جل وعلا ان اكرمكم عند الله اتقاكم اكثركم تقوى اكثركم تقيدا بطاعة الله جل وعلا وابتعادا عن معصيته. هذا الكريم عند الله جل وعلا - 00:16:51

ليس الكرم بالمال ولا بالولد ولا بالجاه ولا بغير ذلك من حظوظ الدنيا كل هذه تنتهي انتهاء الانسان من دنياه تنتهي لا ينفعه في اخرته الا ما كان لله ان اكرمكم عند الله - 00:17:28

اتقاكم اذا اردتم التقرب الى الله جل وعلا اردتم الفخر حقيقة فالافتخار بطاعة الله جل وعلا افتخار بالقرب من الله جل وعلا والقيام باوامره والابتعاد عن نواهيه قال ابن كثير رحمه الله - 00:17:57

انما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالاحساب يقول قد وردت الاحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه - 00:18:25

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم وروى مسلم في صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى - 00:18:47

قلوبكم واعمالكم يعني قيمتكم عند الله جل وعلا بما في قلوبكم من التقوى وبما تقدمونه من الاعمال الصالحة التي يحبها الله جل وعلا فليست قيمتكم عند الله جل وعلا بان يقال هذا فلان ابن فلان - 00:19:13

ولا يقال هذا قيمته بانه يملك كذا وكذا ولا يقال ان قيمته عند الله بانه له عشرة من الاولاد او عشرون او اكثر من ذلك لا كل هذا لا قيمة له عند الله وانما هذا من عرض الدنيا - 00:19:36

وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وروى ابو داوود في سننه والترمذي وحسنه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل - 00:19:58

اذهب عنكم عبية الجاهلية يعني العبية الكبر والفخر وفخرها بالاباء مؤمن تقي وفاجر شقي. الناس اثنان مؤمن يتقي الله جل وعلا فاجر شقي عند الله جل وعلا انتم بنو ادم وادم من تراب - 00:20:19

ليدعن رجال فخرهم باقوام انما هم فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدفع بانفسها النتن وروى الامام احمد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - 00:20:48

يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على احمر الا بالتقوى - 00:21:17

ثم قال ابن كثير رحمه الله في تتمة الاية ان الله عليم خبير اي عليم بكم خبير باموركم فيهدي من يشاء ويظل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من من يشاء ويفظل من يشاء على من يشاء - 00:21:39

وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله واستدل بهذه الاية الكريمة وهذه الاحاديث الشريفة من من العلماء من ذهب الى ان الكفاءة في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين - 00:22:04

انه لا يقال هذا الرجل ليس بكفء لهذه المرأة او هذه المرأة ليس هذا الرجل كفؤا لها وانما الكفاءة الدين والمنزلة بالدين والا فكل الناس

سواء لقوله جل وعلا ان اكرمكم عند الله اتقاكم - 00:22:28
ولقوله صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارظ وفساد عريظ رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وهو حديث حسن والنبي صلى الله عليه وسلم طبق هذا بالفعل - 00:22:58
وقد انكح ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها لمولاه زيد ابن حارثة فلما طلقها زيد رضي الله عنه وكان مولى للنبي صلى الله عليه وسلم وينسب اليه بالتبني في - 00:23:27
تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم. فكانت بعد كونها زوجة مولى لكن مولى صالح مولى سيد ابن حارثة رضي الله عنه تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فاصبحت احدى امهات المؤمنين بتزويج الله جل وعلا اياه - 00:23:49
لها زوجه اياه. زوجه اياها بدون الرجوع الى اهليهم وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على امهات المؤمنين وحق لها ذلك. تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات - 00:24:14
في قوله جل وعلا فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وكانت احدى امهات المؤمنين بعد ان كانت زوجة زايد بن حارثة رضي الله عنه فهذه الاية الكريمة نهي الامة عن التفاخر - 00:24:39
في الاحساب والانساب ومع صراحتها ووضوحها والاحاديث الدالة على ذلك فالناس لا زالوا متمسكون بهذا بالفخر وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها من سمات الجاهلية ولا يدعها الناس - 00:25:08
اربع في امتي من سمات الجاهلية وكما قال صلى الله عليه وسلم وذكر منها الفخر بالاحساب الطعن في الانساب مع كونها من صفات الجاهلية فالناس يتمسكون بها وهذه معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم - 00:25:31
اخبر بشيء لم يقع فوقع كما اخبر بان استمرت هذه حتى عند خيار الناس والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:25:55